المقدمة

من لا يقرأ تاريخ مصر الاجتماعى والسياسى لا يعرف شيئًا عن المصريين، بل ويحار فى أمرهم؛ إذ غالبا ما يتصور أنهم من الشعوب المستكينة التى يرضيها القليل وتخضع لكل مستعمر، بل ترحب به وتصنعه مستبدًا عليها. وكم كتب الكاتبون عن خضوع المصريين للفرس ثم اليونانيين فى الأزمنة القديمة. وكم كتبوا عن خداع الإسكندر لهم بحجة أنه ابن آمون وزيارته لمعبده فى سيوة! وكم كتبوا عن خضوعهم من بعد الإسكندر للبطالمة ورضائهم بحكم امرأة منهم هى كليوباترا.. تلك الفاتنة الماجنة!

وهاهم بعد هؤلاء وأولئك يرحبون بعمرو بن العاص ويسارعون إلى دخول الإسلام بعد أن كانت الإسكندرية وكنيستها هى الرائدة فى الدعوة إلى الإيمان بالمسيحية والتأسيس العقائدى لها!

ولم ينقطع ذلك السيل الاستعمارى الذى يقابله المصريون طوال تاريخهم بكل الود والترحاب فى العصر الحديث؛ فقد استقبلوا الاستعمار الفرنسى ولم يمنعوا نابليون من دخول الأزهر وخضعوا لحيله وألاعيبه، بل زوجوا قواده من بناتهم الفضليات!

وبعد ذلك استقبلوا الاستعمار الإنجليزى وتعايشوا معه نحو سبعين عامًا كاملة. وولوا محمد على حكم مصر باختيارهم وإجماعهم الذى عبر عنه زعيمهم عمر مكرم، ولم يكن محمد على إلا أحد الجنود الأتراك المستعمرين، وتوالى حكم الأسرة العلوية ملكًا بعد ملك وسلطانًا بعد أمير حتى قامت الثورة المصرية التى استخلصت الحكم للمصريين من محمد نجيب إلى جمال عبد الناصر، ومنهما إلى السادات ومبارك.. لقد تخلصوا من براثن الاحتلال التركى والإنجليزى ليقعوا فى قبضة الاستبداد فى الحقبة الناصرية ثم فى قبضة حيتان الانفتاح فى عصر السادات وعصر مبارك. لقد حرم هؤلاء الحكام مصر من الكفاءات وأفسدوا نظامها التعليمى والتربوى، كما استولوا على ثروتها حتى أفقروا الشعب المصرى الصابر المستكين!!

والمصيبة أن هذا التصور الخاطئ الذى عادة ما يرسمه المؤرخون والمستشرقون عن مصر والمصريين هو السائد رغم أنه لا يمثل جوهر الحقيقة ولا يدرك الطبيعة الحقيقية للشخصية

المصريــة ولا يفهــم الجوهر الأصيل للشــعب المصرى الذى إن صبر وتحمــل فهو لم يفقد بعد شجاعته وكرامته، وإن تسامح وغفر فهو لا ينسى من أساءوا إليه وسرعان ما يرد الإساءة.

إن الشعب المصرى لم يتربى على الاستبداد والخضوع للغزاة والمستعمرين كما هو شائع فى ذلك الفهم المتســرع لطبيعة الشــخصية المصرية؛ بل هو الشــعب الذى يبنى الحضارة ويصنــع المســتحيلات طوال تاريخه، وهو لم يكن ذلك الشــعب الخاضع المســتكين دوما لحكامه وخاصة المســتبدين والمســتعمرين الأجانب منهم. فهو الشعب الذى قام بأول ثورة فى التاريخ الإنســانى كله فى عام ألفين قبل الميلاد تقريبًا وعبرت عن هذه الثورة العارمة فــى مصر القديمة برديات إيبوور، وهو الشــعب الذى واجه كل هذا التاريخ الاســتعمارى بأقصــى درجات الصبر والتحمل لأنه لم يكن يملك القوة العســكرية الكافية للردع والنصر علــى الأعــداء، فكان أن تحمل كل هذه الموجات الاســتعمارية وكثيرا ما ثار عليها جميعًا فى ثورات متتالية لكن لم تكن تنجح للسبب نفسه، ضعف إمكانيات الشعب بالقياس إلى القدرات الهائلة التى كان يملكها المحتل.

إنه الشعب الذى حول مستعمريه إلى مواطنين؛ فحينما لم تكن تنجح المواجهة المسلحة، كان البديل هو تمصير المحتل وجعله مصريا يحب المصريين ويأنس إليهم ويعمل لمصلحتهم حتى يمكنه الاســتمرار فى الســلطة بهدوء. وكم كان الشعب المصرى رائعا حينما نجح فى النهايــة فى الحفاظ على هويته الحضارية وعلى لغته العربية رغم طول فترات الاســتعمار وقوة المســتعمرين لقد ظل الشــعب المصرى حريصًا على الحفاظ علــى دولته المصرية قوية مســتقرة طوال التاريخ رغم فترات الضعف والاســتعمار، ورغم فترات الجمود التى فرضت عليه فرضًا، ورغم الفترات التى أوقف فيها نموه الذاتى لمصلحة المستعمر.

إن الشــعب المصــرى الذى ثار على مبارك لطول فترة حكمــه من ناحيه، ولأنه وحزبه لم يرحمــا المصريين واســتبدوا بهم وبددوا ثرواتهم بالاســتيلاء عليها تــارة وبالتفريط فى اســتخدامها فى بناء عوامل القــوة الذاتية لمصر تارة أخرى، ومع ذلــك وفى ثناياه أوقفوا حركة المجتمع المصرى وقضوا على إمكانية مشــاركة جيلين أو ثلاثة من الأجيال الشــابة فى العمل العام حيث تفشــت البطالة بين الشــباب المتعلم وحرموا من الترقى والتقدم فى الوظائف العامة.

تلك كانت بعض أسباب ثورة الشباب والشعب المصرى الذى ثار على مبارك ونظام حكمه[1]، وهذا ما عبرنا عنه فى كتابنا السابق «ثورة الشباب والجمهورية الثانية»، ولما حدث أن استولى على الحكم عقب هذه الثورة تيار الإسلام السياسى بزعامة «الإخوان المسلمين» وأخذوا فى التجبر على الناس بدءا من الإعلان الدستورى الذى أخذ به الرئيس المعزول محمد مرسى كل السلطات فى يده وحتى محاولته أخونة الدولة بكل هيئاتها ووظائفها العليا، بدأت بذور الثورة وفاعلياتها على حكم الإخوان وهيمنة المرشد وحاشيته على الرئيس وأجهزة الدولة.

لقد كانت الثورة الثانية التى حدثت فى الثلاثين من يونيه ضرورية لتصحيح الأوضاع وإعادة مصر ومسارها على الطريق الصحيح، حيث إن مصر وشعبها لم يعرفا طوال التاريخ حكم التطرف، ولا يمكن أن يرضخا لحكم طائفة من الشعب تريد أن تنمطه على نمطها وتقولبه فى تصورها الضيق عن الإسلام، ذلك التصور البعيد عن الاعتدال والوسطية، البعيد عن المشاركة الفاعلة بين طوائف الشعب المختلفة مسلمين كانوا أو مسيحيين، فالتعايش والمشاركة والتعاون والمحبة هى قيم المواطنة الحقيقية فى مصر منذ أن عرفت المسيحية والإسلام. والنسيج الوطنى الأصيل لا يفرق بين الناس إلا على أساس طبقاتهم الاجتماعية أو انتماءاتهم السياسية أو جغرافية المكان الذى يعيشون فيه، هل فى صعيد مصر أم فى شمالها أم فى شرقها أم فى غربها! ولم يفرق يومًا على أساس دينى أو عرقى، فما بالنا وقد تقاتل المسلمون سنة وشيعة وقتل متطرفو الإسلام السياسى السنى بعض الشيعة، وما بالنا بتقسيم المسلمين إلى عامة وإخوان؛ فالإخوانى والمنتمى إلى أية جماعة إسلامية هو وحده المسلم الحق أما الباقون فهم خارج الملة وينظر إليهم من قبل هذه الجماعات نظرة دونية وكأنهم لم يهتدوا بعد إلى الإسلام!.

إن ثورة الشعب العارمة فى الثلاثين من يونيه كانت ثورة على التمييز والتعصب، ثورة على ديكتاتورية بغيضة تحكم باسم الدين ولا تعرف سوى تقاليد الجماعة الدينية، ثورة على أناس تصوروا أنهم قد خطفوا الدولة وشعبها فى لحظة تاريخية لن تتكرر فحاولوا الإمساك بهذه اللحظة وتوقيف التاريخ عندها!.

---

(١) يمكن للقارئ الكريم أن يقرأ تفاصيل أكثر عن ثورة ٢٥ يناير وتحليلنا عبر المقالات والدراسات التى كتبناها عن أسبابها وفاعلياتها ونتائجها فى كتابنا: «ثورة الشباب والجمهورية الثانية» – «ثورة ٢٥ يناير»: المبشرات والنتائج.

إن ثـورة يونيه هى الثورة الشـعبية العارمـة على هذه الجماعة الدينيـة الخارجة على إجماع المصريين وعلى التدين المعتدل والتعايش السلمى، إنها ثورة أعادت مصر إلى وسطيتها واعتدالهـا بقيادة واعية أدركت منذ اللحظـة الأولى أن الحق أحق أن يتبع وأن الانحياز إلى الشـعب من قبل جيشـه وقادة جيشـه واجبة، لقد أدرك قائد الجيش وجنوده أن الانحياز إلى الشـعب هو دائما الخيار الأول الذى درج عليه جيشـنا الباسل منذ فجر التاريخ المصرى. لقد كان الالتحام بين الشـعب وجيشه التحامًا تاريخيا وخاصة فى هذه الثورة الثانية، ثورة الثلاثين من يونيه، وقد كانت وحدة النسـيج الوطنى فى قمتها لأن الشرطة شاركت الجيش الالتحام بالشـعب وأصبح الشعب بجيشه وشرطته فى مواجهة إرهاب الجماعة واعتصاماتها وتهديداتها حتى تحقق النصر النهائى للشـعب ووضع الدسـتور الجديـد وانتخب الرئيس الجديد، وعاد المسـجونون إلى السـجن مرة أخرى لأنهم لم يتحملوا التطهر مع الشعب الذى أراد أن يتطهـر بهم ومعهم فإذا به يجدهم يريدون تطهير الوطن من ناسـه الحقيقيين ليأتوا بأناس غيرهم وكأنهم أرادوا أن يستبدلوا شعبًا بشعب وحكامًا بحكام. لقد ضلوا طريق الوطنية المصرية فكان لزاما على الشـعب أن يلفظهم إلى الأبد. وما أقدس هذه المهمة الثورية إذا كان هدفها إعادة مصر إلى المصريين الحقيقيين. وما أقدس هذه الثورة التى كشفت الوجه القبيح لمن تصورناهم ملائكة فصاروا بعد الاستيلاء على الحكم عقب الثورة الأولى شياطين يريدون إحراق الأخضر واليابس فى سـبيل الوصول إلى سـدة الحكم مرة أخرى؛ لقد ضلوا الطريق وأعماهم الطمع عن أن يعيدوا التفكير فى مهادنة الشـعب والعودة مرة أخرى إلى صفوفه. إن أحدا لا يستطيع تحدى إرادة الشعب مهما تزيا بزى الدين، ومهما تلون بألوان الطيف تمسحًا وتزلفا بعد أن اكتشفت كل الحقائق وعرف الناس حقيقة من سموا أنفسهم بالإخوان وبالمسلمين فلم يصيروا إخوانا لأبناء هذا الشـعب، ولم يصبحوا يمثلون الإسلام لديه، فما أحوجهم فى هذه اللحظـة لأن يعيـدوا التفكير مرة ومرات قبل أن يجرفهم تيـار التاريخ كأى جماعة متطرفة عرفهـا التاريخ العربى أو الإسـلامى؛ فأين ذهب الخـوارج والمرجئة؟ وأين ذهبت جماعات الإرهاب السياسى باسم الإسلام طوال التاريخ الإسلامى؟!

إن كل جماعـات التطـرف فانية وجموع الشـعب المعتدل، المؤمـن، الفطن، العامل، الصانـع، الـزارع، هـى الباقية وهى التى سـتصنع نهضة هذا الوطن بعـد أن تحقق لها الاستقرار وكادت تكتمل مؤسسات الدولة الدستورية؛ إذ لم يبق سوى الانتخابات البرلمانية

لتصبح مصر على الطريق الدائم للاستقرار وإعادة بناء الدولة القوية الرائدة، حامية العروبة والإسلام، المدافعة عن عزة وكرامة العرب والمسلمين كافة.

إن طريق النهضة يبدأ بالاستقرار وعنوانه الجدية فى العمل وسرعة الإنجاز عبر خطط ممكنة التنفيذ يضعها العلماء المتخصصون ويسهر على تنفيذها أناس يخشون الله ورسوله ويعملون بجد ونشاط مخلصين لهذا الوطن الذى انتظرهم كثيرًا.

وإنى أكاد ألمح فى وجوه قادة اليوم والغد، المستقبل الواعد المشرق لهذا الوطن. أكاد ألمح أننا إذا ما سرنا على هدى العقل والعلم مع سرعة الإنجاز وإتقان العمل سنصل إلى ذرى التقدم فى سنوات قليلة، فمصر تملك كل مقومات القوة (البشر – الموارد – الإبداع) وكل مقومات الشراكة مع الآخرين فى صنع التقدم والازدهار للجميع (العرب – أوربا – الشرق الأسيوى – العمق الإفريقى)، كما تملك الموقع الفريد وقناة السويس القديمة والجديدة خلال هذا العام إن شاء الله، إنها أصبحت تمتلك كل هذا مع الإدارة السياسية الواعية والقادرة على التخطيط وسرعة الإنجاز.

إذن لم يعد ينقصنا إلا توفيق الله، وهو سيوفقنا إن شاء الله إلى صنع التقدم على هذه الأرض الطيبة المعطاءة. ومع توفيق الله يكون الكل فى واحد والواحد مع الكل لتتحد إرادة الشعب مع إرادة القائد لصنع ملحمة النهضة والتقدم فى كل مجالات الحياة بالعلم والعمل.

وإذا كان على كل امرئ أن يبدأ بنفسه وبإيقاظ ذاته ليقدم ما يستطيع فى صنع هذه الملحمة الوطنية. فهاأنذا أقدم بعض لمحات من معالم الطريق إلى الخروج من عباءة الثورة الطاهرة إلى تحقيق الإنجاز الذى تمثله نهضتنا المنشودة عبر علم نافع وعمل جاد، عبر تعليم يستهدف بناء المواطن القادر وعبر توظيف كل الطاقات المبدعة والعاملة لخدمة هذه الأهداف التى حددناها لثورتينا المباركتين.

لقد قدمت قبل ذلك فى كتاب «الأورجانون العربى للمستقبل» الظهير الفلسفى والفكرى البراجماتى لخططنا نحو المستقبل بإزالة عوائق النهضة العشرة، وإقامة ركائز النهوض الخمسة بدلا منها[1]. وفى هذا الكتاب نعيد الكرة من أرض الواقع حيث كانت الثورة بموجتيها هى الشرارة التى لابد أن تدفعنا إلى إعادة البناء والنهوض. وهذا هو موضوع مقالاتنا وحواراتنا ودراساتنا بين دفتى هذا الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ الحبيب،

(١) راجع تفاصيل ذلك فى هذا الكتاب المشار إليه: الأورجانون العربى للمستقبل، طبعة الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ٢٠١٤م.

إنى أحبك فى الوطن، أحبك حينما تشـاركنى ليس فقط الحكم بوطن يسـتحق أن نعيش فيه، بل تشاركنى أيضًا العمل لنجعل هذا الحلم حقيقية واقعة نفاخر بها العالم أجمع. إن مصرنا الغالية تمثل بالنسبة للعالم كله التاريخ والحضارة العريقة، وكم أود أن نتشارك معًا لنجعلها الآن بالنسـبة للعالم كله أيضًا رائدة للبناء الحضارى المتميز فى عالم القرن الواحد والعشرين.

وإن كان مشـوار الألف ميل يبدأ بخطوة، فقد بدأت معى هذه الخطوة بأن وعينا دورنا الحضارى الجديد، إذ لم يعد يكفينا الحلم، بل علينا معًا قيادةً وشعبًا أن نصر على تمويل الحلـم إلى حقيقة تبهر العالم؛ فكما بهرناه بثورتـين عظيمتين فى غضون عامين ونصف، يمكننا أن نبهره فى غضون عامين جديدين أننا بدأنا طريق التقدم الحضارى بخطى واثقة وبعزيمة لا تلين.

وفقنا الله معًا، كُتابًا وقُراءً، حكومة وشـعبًا، شـبابًا وشـيوخًا، رجالاً ونساءً، حاكمًا ومحكومين إلى ما فيه خير هذا الوطن ورفعته....

وإلى مستقبل عظيم بإذن الله وتوفيقه....

وتحيا مصر....

د. مصطفى النشار

مدينة نصر فى الثالث من ديسمبر ٢٠١٤م

الموافق الحادى عشر من صفر ١٤٣٦هـ